## ١ العزة الحقيقية في طاعة الله

### نداء "يا أيها العزيز":

تأملوا كيف أعز الله يوسف عليه السلام وجعله موضع احترام بعد أن أراد له إخوته الذل. هذا اللقب "العزيز" رسالة إلهية بأن العزة من الله وحده، وأن إرادته نافذة: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

### العزة في الطاعة والذل في المعصية:

العزة الحقيقية في طاعة الله وحده: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
يوسف كان عزيزًا حتى في السجن، وهذا يؤكد أن الذل والصغار على من خالف أمر الله.

### شفقة متأخرة: "إن له أبًا شيخًا كبيرًا":

يتوسل إخوة يوسف بضعف أبيهم الشيخ الكبير، متناسين قسوتهم السابقة حين ألقوا يوسف في البئر. هذا يظهر تناقضًا عجيبًا، ويدعو للتأمل في أهمية الرحمة بالوالدين خاصة عند الكبر.

### شهادة "إنا نراك من المحسنين":

تكررت هذه الشهادة ليوسف في كل أحواله (في السجن، في القصر)، مما يدل على ثباته على الطاعة والخلق والإحسان مهما تغيرت الظروف.

### تعريف "الملتزم الحقيقي":

الملتزم الحقيقي هو الذي لا يتلون ولا يتبدل حسب الظروف، يعامل الله ولا يمثل أمام الناس. استقامة يوسف كانت حالة دائمة، والإحسان ينبع من القلب المتصل بالله.

## ٢ الإحسان والعدل: قيم خالدة من قصة يوسف

### الإحسان رغم الحسد:

شهادة "إنا نراك من المحسنين" جاءت من إخوته الذين لم يروه محسنًا من قبل بسبب الحسد، مما يدل على أن عين الحقد تعمي البصيرة.

### بر الوالدين في الكبر:

قول الإخوة "**إن له أبًا شيخًا كبيرًا**" دعوة للتأمل في وجوب الأدب والرحمة بالوالدين في كبرهما، حتى لو تغيرت أخلاقهم.

### ألم السجن لا يخص المسجون وحده:

أخذ بنيامين لم يؤلم بنيامين وحده، بل مزق قلب يعقوب. هذا يذكرنا بأن الظلم يمتد ليؤذي الأسر بأكملها، ويدعو الشباب إلى الحذر من السلوكيات التي تؤدي للسجن.

### "معاذ الله": حصن العدل من فتن السلطة:

قول يوسف: ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ**﴾ يعكس إيمانه وعدله. "معاذ الله" درع إيماني يصد عن القلب غوائل الشهوة والانتقام، ورسالة لكل صاحب سلطة بوزن الكلمة والعدل في القرار.

## ٣ بداية النور بعد طول الظلمة: التوبة ويقظة القلوب

**"فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًا": لحظة الانكسار والندم:**

بلغ إخوة يوسف أقصى درجات اليأس، فانفردوا ليتشاوروا. هذه اللحظة كشفت عن ندمهم الحقيقي وحرصهم على الوفاء بالميثاق، وبدأت بوادر الخير تلوح في الأفق.

**المصائب توقظ القلوب:**

مصيبة بنيامين مع ثقل الميثاق أيقظت فيهم إحساسًا طال خفوته. التوبة جاءت مرحلية، وبدأ الاعتراف الحقيقي: "ما فرطتم في يوسف!"، وشعور بمراقبة الله.

**التعلق بأسماء الله وصفاته:**

بدأت قلوبهم تتعلق بالله، بصفاته العظيمة: الحكم، الرحمة، العدل. لأول مرة يتحدثون عن الله بلسان الخضوع: "**وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**". هذا هو مفتاح التوبة الصادقة.

**مع العسر يسرًا، ومع الكرب فرجًا:**

الشدائد هي مفتاح الفرج لمن فهم الغاية من الابتلاء وتاب وأصلح. كلما اشتد الكرب، اقترب الفرج، كما حدث للأنبياء.

**بوادر التوبة الصادقة:**

قول الأخ الأكبر: « **فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** »، يعبر عن ندم عميق وتعلّق بحكم الله وعدله.

**قسوة الألفاظ وسوء الأدب:**

تغيير الإخوة لألفاظهم من "أخانا" إلى "ابنك سرق" يظهر سلوكًا شائعًا من الجفاء وإلقاء اللوم، ويدعو إلى تجنب هذه السلوكيات.

**الاعتراف بالحدود والحذر من الشهادة بغير علم:**

قولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ يؤكد أهمية عدم الشهادة إلا بما يعلم الإنسان، والحذر من المجاملة في التزكية.

## ٤ الصبر الجميل: يقين يعقوب وثمرته

### شؤم الكذب وفقدان المصداقية:

يعقوب عليه السلام لم يصدق إخوته رغم تأكيداتهم: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}، لأنه يعلم أن الكاذب يفقد مصداقيته.

### "فصبر جميل": صبر بلا شكوى:

رغم فقدانه لثلاثة من أبنائه، يقول يعقوب: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}. صبر بلا تذمر أو اعتراض، بل رضا وتسليم لله، مصحوبًا بسكينة إيمانية.

### حكمة الابتلاء:

الله يبتلي عبده ليسمع تضرعه ويرى صدق توكله. كل ألم يحمل أملًا، وكل ابتلاء خلفه جبر. الله لطيف ولا يختار لعبده إلا الخير.

### فهم رسائل الابتلاء:

يعقوب فهم حكمة الله: {إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، فاستقبل البلاء بالصبر والرضا، مما أهّله للفرج.

### أدب البلاء:

في أشد لحظات المصيبة، يعقوب يثني على الله: {عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}. هذا هو أدب البلاء، ثناء ورضا وإيمان بحكمة الله.

## ٥ "يا أسفَى على يوسف": حزن الأنبياء وعبادة الشكوى للّٰه

### ألم يعقوب ودموعه:

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، مشهد يسكب أعمق الألم الإنساني. يعقوب لم يُرد أن يرى أحد دموعه، بل كانت شكواه للّٰه وحده.

### لماذا "يوسف"؟:

لم يقل "يا أسفى على بنيامين" لأنه فقده للتو، بل "يوسف" لأن المصيبة الأصلية لم تندمل. يوسف كان مشروع أمة وأملًا دعويًا، وحزنه عليه كان حزنًا على فقدان القدوة والمصلح.

### الحزن النبيل:

يعقوب بكى حتى ابيضت عيناه: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾. "كظيم" يعني يكتم حزنه ولا يشكو إلا للّٰه، فدموعه تنطق بما لا يستطيع لسانه. هذا هو الحزن النبيل والصبر العظيم.

### البكاء لا ينافي الرضا:

الحزن والبكاء لا يتعارضان مع الرضا بقضاء اللّٰه، كما بكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم. البكاء رحمة، والحزن طبيعة بشرية، لكنه لا يناقض الرضا ما دام القلب ساكنًا ومطمئنًا.

### قسوة لوم الإخوة:

الإخوة لاموا يعقوب على حزنه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾. هذا يظهر قسوة الحسد الذي يعمي القلوب.

### "إنما أشكو بثي وحزني إلى اللّٰه":

كان رد يعقوب حاسمًا: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. هذه عبادة الشكوى إلى اللّٰه، وهي من أجلّ العبادات ومفتاح الفرج.

### الشكوى للّٰه قوة وكرامة:

الشكوى الصادقة إلى اللّٰه هي مفتاح الفرج، وهي العبادة الخفية التي يحبها اللّٰه. اللّٰه يحب أن يسمع شكواك، وأن تفرغ ما في قلبك له وحده.

### أمثلة من الأنبياء والصالحين:

السيدة عائشة وخولة بنت ثعلبة والنبي ﷺ كلهم لجأوا إلى اللّٰه بالشكوى في أشد محنهم، فجاءهم الفرج من السماء.